

محمّد مختار



الاسلام والفنون



صفر ١٣٩٤ - مارس ١٩٧٤

الاهداء

الى المفتحين على الله ،
السالكين اليه كل السبل ،
فانه ان من شيء الا وهو
الى الله سبيل ! !
» وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم « *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« تسبح له السموات السبع ، والارض ، ومن فيهن .. وأن من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. انه كان حليماً غفوراً .. »

صدق الله العظيم

المقدمة :

هذه مقدمة كتاب « الاسلام والفنون » وهو عبارة عن متن محاضرة القيت على طلبة « كلية الفنون الجميلة والتطبيقية » ، وضيوفهم ، وذلك في يوم الثلاثاء ، ٢٤ / ٩ / ١٩٦٨ .. ولقد اخذت هذه المحاضرة عن الشريط ، وهي تجرى بلغة الكلام ، لا بلغة الكتابة .. كذلك وردت في الاصل ..

ولقد اسمينا هذا الكتاب : « الاسلام والفنون » .. ولقد كان من الممكن ان نسميه : « الفنون والاسلام » ، ولكننا اثرنّا الاول لأن تقديم كلمة الاسلام فيه توخ للحكمة التي توجب تقديم الفاضل على الفضول ، فذلك أمر لا معدى عنه ، ولكننا كنا ، حين تعديناه في فكرنا ، وحين هممنا بتسمية الكتاب على النحو المشار اليه آنفاً ، كنا نعتذر عن هذا الصنيع بخطتين اثنتين : كون هذا الكتاب يعني ، في المكان الاول ، بالفنون ، ثم يضعها موضعها في الاسلام .. هذه واحدة ، والثانية ان الفن ، والاسلام ، لصيقان ، وتوأمان .. وهما يقتضى تعريف الفن ، وتعريف الاسلام ..

الفن :

فأما الفن فقد سبق لنا أن عرفناه في متن هذه المحاضرة ، وذلك حيث قلنا : ان الفن هو وسيلة التعبير عن ملكة التعبير .. وقلنا يومها ان ملكة التعبير انما هي الحياة .. والحياة تعبر عن نفسها بوسائل مختلفة ، في مستويات مختلفة .. فهي تعبر عن نفسها

بالحركة ، وتعبر عن نفسها بالغذاء ، وتعبر عن نفسها بالتناسل ،
 كما تعبر عن نفسها بالشعر ، وبالنثر ، وبالعناء ، وبالرقص ،
 وبالنحت ، وبالرسم ، وبالتصوير ، وبالتمثيل ، وبالموسيقى ، وبغيرها
 من ضروب الطاقة الفكرية ، والجسدية ، التي تفيض ، وتتجسجس ..
 فهل يعنى هذا ان كل اساليب الحياة للتعبير عن نفسها فن ؟؟
 نعم !! هذا على التعميم ، وفي جملة الامر ، صحيح .. بيد أن
 صور التعبير التي تمارسها الحياة البدائية تعتبر فناً فجاً ، وتريد
 فجاجته كلما انحصر في التعبير عن مجرد نوازع المعدة ، والجسد ..
 اننا لا نسمى اساليب الحياة ، في التعبير عن نفسها ، فناً ، بالمعنى
 المخصص لهذه الكلمة ، الا اذا ما دخلت هذه الاساليب على مستوى
 التعبير عن القيمة - القيمة في الحياة - واعلى قيم الحياة الحرة ..
 هناك الطاقة الحياتية ، وهناك الطاقة العقلية ، وانما بالطاقة العقلية
 دخلت القيمة في الحياة .. فالفن انما هو تعبير الطاقة الحياتية عن
 نفسها من خلال مصافى العقول المرتاضة ، الصافية ، القوية الادراك ..
 الفن هو التعبير عن حياة الفكر ، وحياة الشعور ، في آن معاً ..
 والطاقة الحياتية انما هي اصل الحياة ، في سذاجة ، وبساطة ..
 وهي لا تفلسف ، ولا تتألق ، ولا تحتفل ، حين تعبر عن نفسها ..
 واسلوبها في التعبير اسلوب القصد الصريح ، في ممارسة اللذة ،
 واجتتاب الالم .. ولكننا نحن لا نعتبر اندفاعات الشهوة في هذا
 المستوى فناً من الفنون .. وانما الفن تعبير الشهوة المحكومة
 بالعقل المهذب ، المروض المنضبط بقواعد الخلق الرصين .. وانما
 من اجل ترويض ، وتهذيب ، العقول حمدت مساعي الفنون ، في
 صورها المختلفة ، وبأساليبها المختلفة .. وانما قيمة كل اسلوب من
 اساليب الفنون هي قيمة ما يقربنا من تلك الغاية .. وفي هذا
 المضمار يقع التفاوت بين أفانين الفنون ، وفيه أيضاً يقع اختلافه

حامين الفن والدين - الاسلام .. ومعلوم انه انما هو دائماً
 لاختلاف مقدار .. ولقد تعرضنا لتعريف الفن في الاسطر القليلة
 الماضية ، ولقد قررنا هناك أن الفن والاسلام لصيقتان ، وهذا
 يعنى انهما وجهان لامر واحد .. هذا الامر الواحد انما هو
 الحياة .. فالفن اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها ..
 والاسلام اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها .. ولكن
 اسلوب الاسلام اشمل ، واعمق ، وابعد مدى ، من اسلوب الفنون ..
 ولقد وردت الاشارة الى الاسلوبين : اسلوب الفنون ، واسلوب
 الاسلام ، في الاية الكريمة : « سنريهم آياتنا ، في الآفاق ، وفي
 انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق .. أولم يكف بربك انه على
 كل شئ شهيد ؟؟ » .. فهذه آيات الآفاق ، وآيات النفوس ..
 وهى جميعها موضوع الفنون ، وموضوع الاسلام .. فأما الفنون فانها
 تعنى بآيات الآفاق ، اكثر مما تعنى بآيات النفوس ، ولكن عنايتها
 بهذه غير غائبة .. واما الاسلام فانه يعنى بآيات الآفاق ، ويتخذها
 مجازاً الى آيات النفوس ، وعنايته بهذه ، وبخاصة في اخريات
 مراقبه ، اكبر واعظم .. وللعلم التجريبي في هذين مجال ، ولكنه
 ليس هنا بذى بال .. ويكفى فيه ان يقال : ان الفن ، والدين ،
 والعلم ، متداخلة ، والاختلاف بينها انما هو اختلاف مقدار ..

الاسلام :

وعند الاسلام آيات النفوس مقصودة بالاصالة ، وآيات
 الآفاق مقصودة بالحوالة ، بمعنى ان الانسان يعبر على آيات
 الظاهر ليصل الى فهم آيات الباطن ، فينسجها مع الظاهر حتى
 تستقيم له حياته ، وتتعمق ، وتتسع .. وفي الاسلام الظاهر انما هو
 ظل للباطن - للكون المظاهر انما هو الكون الباطن في حالة بروز

وتجسيد * * والاسلام انما يعنى الانقياد ، والاستسلام * * وهو يبدأ بمحاولة الحى ان يوجد نوعاً من العلاقة الحيمة بينه وبين البيئة الطبيعية التى يعيش فيها وذلك باقامة نوع من المصالحة ، والمصادقة ، والمودة معها * * أو نوع من التقية ، والمصاهرة ، والخشية منها * * ومن ههنا نشأت العبادة ، ونشأ العلم ، ونشأ الفن * *

ان الوجود المادى ، المحسوس ، انما هو لحن من الموسيقى العلوية * * هو لحن متسق ، منسجم ، مهذب ، لا نشوز فيه ، ولا شذوذ * * ونحن الآن انما نتعلم العلم لكى نستطيع به ان نسير حياتنا فى مصابقة ، وفى سلام مع هذا اللحن العلوى العظيم * * نحن انما نتعلم العلم الذى يعيننا على تنعيم حياتنا مع بيئتنا * * ولقد علمنا ان هذا العلم لن يكون علم الظواهر الطبيعية ، فحسب ، وانما هو علم الظواهر والبواطن — علم آيات الآفاق ، وآيات النفوس — وبواطن الظواهر تقول : ان الكون المادى ، المحسوس ، انما هو الإرادة الالهية جمدت ، وتجسدت * * ان الكون هو مظهر قدرة الله ، تبارك ، وتعالى ، فانه ، تبارك وتعالى ، عندما أراد اظهار المخلوقات احاط بها علماً ، باسمه العالم * * ثم خصص الصورة البدائية لظهورها ، وذلك باسمه المريد ، ثم ليرز هذه الصورة ، الى حيز المحسوس ، وذلك باسمه القادر * * وباسم القادر تم تجسيد العلم الالهى * * والعلم الالهى صفة قديمة ، قلئمة بذات الله القديمة * * فما هو غيرها ، وانما هو هى ، فى مرتبة التتزل ، لتظهر ، لتعريف * *

ان البيئة التى نعيش فيها انما هى بيئة روحية تجسدت ، وكان من تجسيدها السموات ، والارض ، وما فيهما ، وما بينهما ، واصبح علينا ، لكى نعيش فى وئام مع بيئتنا ، ان نعلم ظاهرها — آيات الآفاق ، ونعلم باطنها — آيات النفوس * * قال تعالى : فى ذلك ،

« سنريهم آياتنا ، في الآفاق ، وفي انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق .. أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟؟ » ونحن ، من اجل هذا العلم ، نحتاج العلم التجريبي ، وهذا اكثر تركيزاً على الظواهر ، منه على البواطن .. بل هو يكاد يقتصر على الظواهر وحدها .. ونحن ، من اجل هذا العلم ، نحتاج الفنون ، بكل صورها ، وضروبها ، وهذه موزعة بين الظواهر والبواطن ، وتركيزها على الظواهر اعظم ، ودخولها في البواطن غير موجه بالنهج الذي يضمن لها التغلغل في هذه البواطن ، مما يزود الفنان بالقدر الكافي من علم اسرارها ، وانما هي تقتصر على الهامات نفس الفنان ، وموهبته ..

ونحن نحتاج الدين من اجل هذا العلم .. والدين يبدأ بالظواهر ، ويتخذها معبراً الى البواطن .. وهو انما يزيد تركيزه على البواطن كلما تمرس المتدين بمنهاج العبادة ، وكلما روض عقله ، وقلبه ، على ادب الشريعة ، وادب الحقيقة .. « أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟؟ » اشارة الى الاستغناء بالبواطن عن الظواهر .. اشارة الى الاستغناء بالله عن جميع الخلق .. وذلك انما يكون عند الاستواء ، حيث لا يبقى ، في الوجود ، غير العبد ، والرب — العبيد الآخرون موجودون ، ولكن وجودهم لا يتخذ وسيلة الى معرفة الله ، وانما معرفة الله وسيلتها ذاتها — هذمه تبدأ عند نهايات البدايات ، ويطالع بها المصطفون ، الأخيار ، في هذه الدار ، ثم لا تكون لنهايتها نهايات ، وانما هو الترقى السرمدي ..

الموسيقى :

الموسيقى اسمى الفنون ، واعلاها ، واقدمها .. وهي ، في حقيقتها القديمة ، هذا اللحن العلوي ، الذي تحرك في سلمه السباعي ، يحكى

منازل الانسان وهو يسير في طريق الاغتراب ، ثم يحكيها وهو يسير
 في طريق الرجعى الى الوطن القديم * هذه الحركة هي المجكية
 في قوله ، تبارك ، وتعالى : « لقد خلقنا الانسان في احسن
 تقويم * ثم رددناه اسفل سافلين * الا الذين آمنوا ، وعملوا
 الصالحات ، فلهم اجر غير ممنون » * في هذه ثلاث الآيات جاءت
 صورة الاغتراب ، وصورة العودة من الاغتراب * هذه الحركة ،
 في الهبوط ، وفي الرجعى ، هي حقيقة الموسيقى * وهى ، في جميع
 مراحلها في البعد والقرب ، ذات سلم سباعى * مرحلتها الاولى ، في
 طريق البعد ، الصفات السبع : الحى ، العالم ، المريد ، القادر ،
 السميع ، البصير ، المتكلم * و مرحلتها الثانية الحواس السبع :
 القلب ، والعقل ، والسمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ،
 واللمس * و مرحلتها الثالثة النفوس السبع : الكاملة ، والمرضية ،
 والراضية ، والمطمئنة ، والملهمة ، واللوامة ، والأمارة * و مرحلتها
 الرابعة الايام السبعة : الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والاربعاء ،
 والخميس ، والجمعة ، والسبت * و مرحلتها الخامسة السموات
 السبع : السماء السابعة ، والسادسة ، والخامسة ، والرابعة ،
 والثالثة ، والثانية ، والأولى * و مرحلتها السادسة الأرضين
 السبع : الأرض الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة ،
 والخامسة ، والسادسة ، والسابعة * ومركز هذه هو اسفل سافلين
 المشار اليه في الآية الكريمة ، حيث قال ، جل من قائل : « ثم
 رددناه اسفل سافلين » * وقد نزل الانسان هذه المنزلة في
 مرحلة التنزل للسابعة * ثم انه استأنف سيره ، في طريق الرجعى ،
 من هذا البعد الصحيق * ولقد جاءه الاذن بان يأخذ في طريق
 الرجعى ، وذلك حيث حكى الله تبارك وتعالى عنه : « فتلقى آدم
 من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم * » وانما

تاب عليه ليتوب — يعنى ليرجع ..

وفى اسفل سافلين ، وهو مركز الارض السابعة ، كان آدم فى
ادنى درجات التجسيد — ذرة غاز الهيدروجين .. ثم انه استأنف
سيره فى طريق الرجعى فنزل المنازل المختلفة .. وحين دخل مرتبة
المادة العضوية ، وظهر فى حيوان الخلية الواحدة ، بدأت الحواس
بحاسة اللمس (. الحس) .. واطرد ترقيه حتى دخل مرتبة الحيوان
السوى ، المكتمل .. وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : « فاذا
سويته » .. ثم اطرده ترقيه ، ودخل مرتبة البشريه ، وصار له
عقل .. فذلك معنى قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » ..
ثم انه نزل منزلة التكليف ، حين صار له عقل ، وحين اصبح له
فى ملكوت الله ذكر ، بعد ان لم يكن .. فذلك معنى قوله تعالى :
« هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟؟ »
هذه هى الموسيقى فى حقيقتها العليا .. هذا اللحن
المنجم ، المنسق ، الممهدب الحوائى ، المنطلق فى طريقى الصدور
والورود — الصدور من موطنه الاول الى موطن البعد والاعتراب ،
والورود من هذا البعد آيياً الى موطنه الاول من جديد بعد
طول هذا الاعتراب ، وطول هذا البعد — هذا اللحن —
هذه الحركة المحتشدة — هو الموسيقى فى حقيقتها العلية ..
وطريق الأوبة ، من اسفل سافلين ، الى الموطن الاول ، فى
احسن تقويم ، طريق مرسوم عبر الارضين السبع ، والسموات
السبع ، فى تعاقب الايام السبعة ، فى مراتب التقوس السبع ،
والحواس السبع ، والصفات السبع ، الى مرتبة الانسان الكامل ذات
المقامات السبعة ..

وفى اثناء طريق العودة ، ومن خلال تعاقب الايام السبعة ،
نشأت العناصر المختلفة ، ثم نشأت الحياة ، ونشأت الأديان ، ونشأت

العلوم ، ونشأت الفنون ، وذلك في الآماد السحيقة ، من الأزمنة السحيقة * * ونحن ، في هذا المجال الضيق ، لا يسعنا إلا أن نقفز قفزة كبيرة ، نصل بها الى نهايات البدايات ، حيث الأديان والعلوم التي نألفها اليوم ، وحيث الفنون في المستوى الذي نعرفه عن الكلمة المنظومة ، والكلمة المنثورة ، وحيث النحت ، والرسم ، والتصوير ، والغناء ، والرقص ، والموسيقى ، والتمثيل ، وبقية ضروب الفنون * * واعرق للفنون ، واعظمها ، واشرفها ، على اطلاقها ، الموسيقى * * وانما يجيء شرفها من امرين : احدهما ارتباطها بالاصوات ، والصوت لازمة لا تنفك عن الحركة ، والحركة اصل الوجود الحادث ، على اطلاقه * * وثانيهما انها تدرك بحاسة السمع * * وحاسة السمع اشرف الحواس السبع (ما عدا القلب والعقل) فهي تلى القلب ، والعقل ، وتجيء بعدها حاسة البصر ، ثم حاسة الشم ، ثم حاسة الذوق ، ثم حاسة اللمس (للحس) * * ويجيء شرف حاسة السمع على حاسة البصر ، وبقية الحواس الاخرى ، من سعة ما تؤدي الى العقل من معلومات ، والى القلب من احساس * * هذا ما من اجله قدم السمع على البصر في سائر آيات القرآن ، وعاطى منزلة الشرف فيها * * السمع يتأثر بالاصوات ويؤديها الى العقل ، والقلب * * والاصوات هي الأكوان جميعها ، المرئي منها ، وغير المرئي ، والمسموع منها ، وغير المسموع * * فانه ما عن شيء في الكون الحادث إلا وهو في حركة لا تقطع ، حتى اكثف المواد التي نراها ، ونعرفها ، فانه ، في الحقيقة ، مهلهلة ، مختلة بفجوات تتحرك فيها ذرات تكوينها حركة متصلة كما تتحرك ذرات البخار في السحابة » وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهي تمر مر السحاب * * صنع الله الذي اتقن كل شيء * * انه خير بما تفعلون * * » وكل متحرك لا بد مصوت ، ولكننا

نحن لا نسمع الا قطاعاً خاصاً ، وصغيراً جداً ، من اصوات هذه العناصر المتحركة . . ان ما نسمعه منها بالنسبة الى ما لا نسمعه كالنقطة من المحيط بل هي اصغر . . ولقد قيدنا بعض الاصوات التي نسمعها فيما سمي بالحروف الرقمية وهي ، عندنا في اللغة العربية ، ثمانية وعشرون حرفاً ، هي الحروف الأبجدية المعروفة ، هذا اذا لم نعد لام الألف والهمزة المقطوعة . . وهناك كثير من الاصوات التي نسمعها لا تخضع في ضبطها للحروف الرقمية . . وجاء تسجيل الموسيقى للاصوات بصورة أوفى من تسجيل الحروف الرقمية . . وهو ذو سلم سباعي هدفه دقة التنعيم في الانتقال بين مستويين من مستويات الصوت ، وكأنه ، في ذلك ، حكاية لأطوار الخلق السبعة التي سبقت الإشارة إليها ، في امر الصفات ، والحواس ، والنفوس ، والسموات ، والأرضين ، والايام . . وغرض الموسيقى من اللحن النغم ، المتسق ، المهدب الحواشي ، ان توجد في داخل النفس البشرية نوعاً من التنعيم ، والاتساق ، والتهذيب ، يحل محل التشويش ، والنشاز ، الذي يعتمل فيها . . هذا هو السر في الراحة التي تجدها النفس عند الاستماع الى قطعة من الموسيقى الراقية ، ومع ذلك فان الموسيقى ، في جميع مستوياتها ، قاصرة عن تأدية هذا الغرض ، الالفئة قليلة جداً من الناس . . وهي ، حين تؤديه انما تؤديه في حد ضيق جداً وذلك يرجع لسببين رئيسيين ، أولهما : ضيق نطاق الاصوات الذي تعمل فيه الموسيقى ، اذا ما قورن بالاصوات من الحركات التي هي موروث النفس البشرية في منازلها المخططة التي اوردنا اليها الإشارة آنفاً . . وثانيهما هو أن الموسيقى لا تملك منهاجاً يقوم بترويض النفس البشرية ، وتدريبها ، حتى تستطيع ان ترتفق بالموسيقى الراقية فتحقق بسماعها قنطرة من التنعيم الداخلي ،

والمواعة ..

القرآن هو الموسيقى :

القرآن المقروء ، والمحفوظ بين دفتي المصحف الشريف ، قد حوى جميع الاكوان القديمة ، والحديثة .. وهو هو اللحن العلوى الكبير ، المنطلق يرسم طريق صدور الانسان ، من منبعه ، وطريق رجوعه ، الى مصبه - الذلت الالهية - حواها ، وحوى حركاتها ، فلم يغادر منها شيئاً .. يقال تعالى ، فى الاشارة الى ذلك : « ووضع الكتاب ، فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، يوقلون : يا ويلتنا !! مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ، ولا كبيرة ، الا احصاها .. ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك احداً .. » معلوم ، لدى المعنى القريب ، ان الكتاب المقصود هنا هو كتاب اعمال الافراد .. ولكن ، لدى المعنى البعيد ، فان الكتاب هو القرآن .. وهو لا يغادر صغيرة ، ولا كبيرة ، فى ذرات ، واجرام ، الاكوان الا احصاها ، قيداً وشمولاً .. وفى نفس هذا المعنى يرد الحوار الذى جرى بين فرعون وموسى : « قال فمن ربكما يا موسى » قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى * قال فما بال القرون الاولى * قال علمها عند ربى فى كتاب .. لا يضل ربى ولا ينسى .. » فان هذا للكتاب انما هو القرآن .. والقرآن انما رصد سير موجة الاكوان ، العلوية والسفلية ، وفى مقدمتها الانسان - رصدها بين الصدور والورود الى المنبع الذى منه صدرت - لانه انما هو كتاب تسليك وهداية .. وفيه يقول تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » فازلهما الشيطان عنها ، فاخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا !! بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الارض مستقر ، ومعتاع ، الى حين * فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتاب

عليه .. انه هو التواب الرحيم ❦ قلنا اهبطوا منها جميعاً !!
فاما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ، ولا هم
يخزنون « .. » هذه هي لحظة من قصة اكتمال الخلقة ، واكتمال
التقويم ، « يا آدم أسكن انت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغداً حيث
شئتما » وهي قصة الخروج في طريق البعد « قلنا اهبطوا !! » ،
وهي قصة الصراع في موطن البعد ، والاغتراب ، « بعضكم لبعض
عدو » وهي قصة أجل الاغتراب ، في موطن الاغتراب ، « ولكم في
الارض مستقر ، ومتاع ، الى حين » .. ثم هي قصة الاذن بالعودة
الى الوطن القديم « فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتاب عليه » ..
ومن باب التوبة اهداء طريق العودة الى الوطن القديم « فاما يأتينكم منى
هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يخزنون » .. وهذا
الهدى انما هو القرآن : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » ..
ومعنى ما في هذه الآيات الكريمات هو ما ورد في قوله تعالى
في سورة والتين : « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ❦ ثم رددناه
أسفل سافلين ❦ الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم أجر
غير ممنون » .. ولا تتم الهداية ، في طريق العودة بالقرآن ، لجميع
الخلائق ، في دار واحدة ، فان منهم من تبدأ هدايته في الدار الدنيا ،
ومنهم من تبدأ هدايته في الدار الاخرى .. وكلهم مصيره الى السير
الى سرمدى على طريق الرجعى الى الله ، فانه ما من الله بد ..
« يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقية » ..

لقد تحدثنا في متن المحاضرة ، عن ان الاصل في صناعة الأوتار التي
تتقل الالحان ، انما هي تجربة بخيط ، يثبت في طرفيه ، ثم ينقر ليتذبذب
بكليته ، وترصد ذبذبته ، ثم يقسم الى نصفين ، وينقر كل نصف ، ثم يقسم
الى أثلاث ، والى أرباع ، وهكذا .. وترصد ذبذبة كل جزء .. هكذا
الإنسان في القرآن ، فان الوتر الذى يمزج فيه لحنه مشدود بين

طرفى الصدر والورود ، وتتحرك فيه نقطة ، تمثلها ، فى الوتر
 الموسيقى ، النقطة التى تقسم الخيط الى ا ثلاث ، وارباع ،
 واثمان * الخ الخ * فالطرفان المشدود بينهما وتر القرآن هما :
 الذات لدى الصدر (الحقيقة العبدية) ، والذات لدى الورود (الحقيقة
 الالهية) « ان مثل عيسى ، عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ،
 ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك ، فلا تكن من الممترين * »
 ثم بدأ تحرك الحق ، تنزلاً من الحقيقة ، فى منازل البعد ، منزلة ،
 منزلة ، فى سلم سباعى ، حتى نزل الحق منزلة أسفل سافلين *
 وهذا التنزل ، فى طريق البعد ، هو ما وردت اليه الإشارة
 بقوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين » * ومنزلة أسفل سافلين
 منزلة حق * فما هى بمنزلة باطل ، الا فى حكم الشريعة * والحق
 دائماً نسبى ، والحقيقة مطلقة * والحق يتحرك يطلب الحقيقة ، وهو
 يدخل مداخلاً كلما تخلص من طرف الباطل الذى اقام عليه حكم
 الشرع * ونحن ، لطرف التنزل من المصدر الى منزلة أسفل
 سافلين ، لا نعطى مجالا فى مقدمتنا هذه ، وانما نعطى كل اعتبارنا
 لطرف العودة الى المصدر من منزلة أسفل سافلين * وانما ذلك لمكان
 الارادة البشرية فى هذا الطرف ، وانعدامها فى ذلك * ولم تجيء
 الارادة البشرية فى طرف الورود - السير فى مراقى القرب - الا فى
 وقت متأخر ، ولكنها ، مع ذلك ، قد اعطت هذا الطرف منزلة
 الشرف على طرف التنزل * والموسيقى القرآنية التى تهمنى الآن ، انما
 هى موزونة على الوتر المشدود بين أسفل سافلين ، وبين الحقيقة
 الالهية ، فى أول نقطة الورود * فى هذا المضمار يرد الترقى
 بوسائل الشريعة ، ووسائل الطريقة ، ووسائل الحقيقة * وهذان
 الطرفان (الحقيقة الالهية ، واسفل سافلين) نقيضان ، أو قل :
 ضدان ، أو قل : زوجان * وكما ان الموسيقى حركة بين طرفين ،

تريد أن تملأ الفراغ بالنعم المنسجم ، المتسق ، فكذلك العبادة ، هي محاولة لملء الفراغ بين طرفين بتحريك منسق ، ومهذب ، من الطرف الأدنى الى الطرف الاعلى ، من غير قفزات ، ولا نشوز ، ولا اضطراب . * وهذا وجه من الشبه كبير بين اللحن الموسيقى ، في الموسيقى ، واللحن الموسيقى ، في حياة الحي ، العاقل ، السالك . *
وانما جاء القرآن بموسيقاه التي ذكرناها ليرشد السالكين في طريق عودتهم ، من الاغتراب الى الوطن — من البعد الى القرب — أو قل : من الأدنى الى الاعلى ، أو قل : من الحيوانية الى الانسانية . *
« الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . . » * والضدان ، أو قل : الزوجان هما أصل الوجود الحادث « ومن كل شيء خلقنا زوجين ، لعلكم تذكرون * ففروا الى الله ، انى لكم منه نذير مبين » * * وانما خلق الله ، في الوجود ، الزوجين . . لنفهم عنه نحن لأن عقولنا لا تميز الاشياء الا باضدادها . . فنحن لا نعرف الحلو الا بوجود المر ، ولا نعرف الخير الا بوجود الشر ، ولا نعرف الحياة الا بوجود الموت ، ولا نعرف النور الا بوجود الظلام . * فكل شيء قد خلق زوجين اثنين « سبحانه الذى خلق الأزواج كلها : مما تنبت الارض ، ومن انفسهم ، وما لا يعلمون . . » وفي قمة الأزواج : الله والانسان الكامل . * والى هذا الاشارة بقوله تعالى : « وما لا يعلمون » * * وفي سيرنا في العوالم انما نحن سائرون الى الله — انما نحن مرتفعون من الأدنى الى الاعلى — نستعين ، في سيرنا ، بالتمييز المستمر الذى تروض عقولنا عليه الأزواج المختلفة ، في الموجودات المختلفة ، اذ نحن مامورون بالسير من الموجودات الى الموجد ، ومن الاكوان الى المكون ، « ففروا الى الله ، انى لكم منه نذير مبين » * * وانما انزل الله القرآن ليعيننا على تسديد ،

وترشيد ، فرارنا هذا ، من كل ما سوى الله ، الى الله ..

ولقد استعمل القرآن في موسيقاه الحرف ، واستعمل الكلمة ..

استعمل الكلمة في دقة من المعاني معجز ، وفي جمال من التركيب معجز ، وفي لحن من النظم الفني يبعث في النفس الطرب ، والنشاط ، والرغبة في التكرار الذي لا يمل .. ولم يستعمل القرآن الحروف إلا بعد ان استنفد وسع الكلمات .. وهو انما استعمل الحروف ليخبرنا ان معانيه اكبر من ان تؤديها الكلمات ، مهما طوعت .. وتبدأ الحروف ، على ذلك ، بعد ان تعجز الكلمات ..

ولقد استعمل القرآن اربعة عشر حرفاً ، من الحروف الأبجدية الثمانية والعشرين ، في افتتاح تسع وعشرين سورة ، على اربع عشرة تشكيلة .. ومعاني الحروف عنده تنزل في ثلاث مراتب : مرتبة الحروف الرقمية ، وهذه هي الثمانية والعشرون حرفاً المعروفة في أبجدية اللغة العربية .. وأعلى منها مرتبة الحروف الصوتية ، وهذه تتعلق بالأصوات .. والأصوات بدورها تتعلق بالحركات .. ولقد قررنا ان جميع ذرات الوجود في حركة لا تنقطع .. فهي اذن مصوتة ، وأصواتها لا تنقطع .. فنسبة الحروف الرقمية الى الحروف الصوتية كالقطرة الى المحيط .. ثم أوسع من هذه ، وتليها في الرفاعة ، مرتبة الحروف الفكرية .. وحركة الفكر اسرع من حركة المادة ، في الطف صورها - الضوء .. حركة الفكر اسرع من سرعة الضوء .. فالحروف الفكرية تكاد في سعتها تلحق بالاطلاق .. وهي ، في الحقيقة ، تقف على عتبة الاطلاق ..

فعندما يتناهى الفكر في الحركة يعجز عن الحركة ، ويتوقف .. وفي نقطة توقفه يبدأ الاطلاق .. وهذه النقطة هي قمة ما توصل اليه اشارة القرآن .. فالقرآن ، في جملة ما تؤدى كلماته ، وحروفه ، ليس هو عبارة عن الذات ، وانما هو مجرد اشارة الى

الذات ** فالذات فوق العبارة ، وهى ، فى الحقيقة ، فوق الاشارة **
مغنية ما تؤدى اليه موسيقى القرآن هى توصيلنا الى عتبة الذات ،
ثم تخلق بين حياتنا ، وبين الحياة السرمدية ، الضالدة ، التى لا تحيط
بها العبارة ، وتقتصر عنها حتى الاشارة ** (راجع الرسالة الثانية
من الاسلام) **

فقمة ما تؤدى اليه موسيقى القرآن اذن هو قمة ما تنتهى
اليه الحروف الفكرية ** وانما تنتهى الحروف الفكرية الى حالة
التوقف - الى حالة عجز الفكر عن التفكير - وذلك ما سمى ، عند
الصوفية ، بحالة العجز عن الادراك ، وقد قالوا فيه : العجز عن
الادراك ، ادراك ** وهو بعينه ما يعرف عندهم بحالة الحيرة **
وعن هذه الحالة يقول سلطان العاشقين ابن الفارض :-

زدنى بفرط الحسن فيك تحيرا * وارحم حشى بلظى هواك تسعرا **
وهذه الحالة هى حالة الوقوف على عتبة الذات ** وانما
يحار الفكر فيها لانقطاع الضدية عنها ** فهى احدى الصفة ، وتربة
الوجود ** وفى هذا المستوى يبلغ الفكر ذروة قوته ،
واستحصاده ** ويبلغ القلب ، تبعاً لذلك ، قمة رحابته ، وسلامته **
ويبلغ الحى بهذين قمة حياة الفكر وحياة الشعور ** وهذه هى الحياة
التى ينتهى اليها الترقى فى الصفات السبع ، التى هى صفات الهية ، وقد
وردت الاشارة اليها فى أول المقدمة ، وهى : الحياة ، والعلم ،
والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ** هذا باعتبار
التنزل - باعتبار السير فى طريق البعد - أما باعتبار المعراج - باعتبار
السير فى طريق الرجعى من البعد الى القرب ، ومن الاغتراب الى
الوطن ، فهى تتصعد هكذا :- الكلام ، فالبصر ، فالسمع ، فالقدرة ،
فالارادة ، فالعلم ، فالحياة ** وهذا هو اتجاه موسيقى القرآن
الذى سقناه الى عتبة حيرة الفكر **

ان الفكر لهو الاكسير الذى به تتسع الحياة ، وتتعمق .. وهو ،
من اجل ذلك ، وظيفة القرآن الاولى .. ولقد قال تبارك وتعالى
فى ذلك « وما ارسلنا ، من قبلك ، الا رجالا ، نوحى اليهم ، فاسألوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » بالبيات ، والزبر .. وانزلنا اليك
الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم .. ولعلمهم يتفكرون » .. « وانزلنا
اليك الذكر » يعنى القرآن كله « لتبين للناس ما نزل اليهم » وهو
القدر من القرآن الذى يطبقونه ، ويحتاجونه ، تبينه بالتشريع ،
وبالتفسير .. « ولعلمهم يتفكرون » يعنى ان الغرض من ارسال
الرسول ، ومن انزال القرآن ، ومن تبينه بالتشريع وبالتفسير ،
هو ان يتفكر الناس ، وان يقوى تفكيرهم بالرياضة ، وبالمراثة فى
العبادات .. ولقد افادت الآية السابقة لهذه نفس المعنى ..
فكانما جميع رسالات السماء ، وجميع كتب السماء ، مطوعة لترويض
الفكر .. فالفكر هو خادم الحياة القوي ، الامين .. ولقد
سايرت موسيقى القرآن الفكر ، من لدن اسفل سافلين - من
لدن بروز الانسان فى المادة غير العضوية (ذرة غاز الهيدروجين) ،
حتى بلغت هذه المادة غير العضوية مرتبة المادة العضوية ،
ببروز حيوان الخلية الواحدة ، وما انفكت تساييره - وتتمهده ،
وتمخضه ، من حياة الحى ، كما تمخض الزبدة من اللبن ، حتى
بلغت به طور البشرية الحاضرة .. وهى لن تنفك تساييره ، وتتمهده ،
وتروضه ، وتهذبها ، حتى تبلغ به مرتبة الانسان الكامل .. وهيات !!
لقد قررنا ان موسيقى القرآن معزوفة على وتر مشدود
بين طرفين ، وتتجرك فيه نقطة .. وقررنا ان هذين الطرفين هما :
الباطل ، والحقيقة .. وقررنا ان الباطل ليس باطلا مطلقا ، وانما هو
ادنى منازل الحق .. وقررنا ايضا ان النقطة التى تتحرك انما هى
الحق ، متطورا نحو الحقيقة ، منطلقا من ادنى منازلها .. ونقرر هنا

ان هذه الهيئة انما هي هيئة الفكر .. فالفكر حركة بين طرفين ،
 هما : الذاكرة ، والخيال .. فكأنما الهيئة هيئة ثالث ، على الطرفين
 النقيضان ، ويتحرك بينهما متحرك هدفه التوحيد بين النقيضين ففى
 ذلك اكتماله ، واستواءه .. فالفكر يبلغ اقصى ما يكون حين يستوى
 على خط الاستواء بين هذين النقيضين - الذاكرة والخيال ..
 وعندما جعلت وظيفة القرآن ترويض هذا الفكر ، وتهذيبه ، جعل
 خيرا ما فيه الكلمة « لا اله الا الله » .. ولقد جاءت لا اله الا الله
 بين النفى « لا » ، والاثبات « الا » ، فلأنها تقرر أن الحق ، اقوى
 ما يكون الحق ، لا هو الى طرف النفى ، ولا هو الى طرف
 الاثبات ، وانما هو « بين بين » .. ونقطة « البين بين » هي نقطة
 الاستقامة التى قال عنها المعصوم :- « شيعتى هود واخواتها » ،
 وذلك فى قوله تبارك وتعالى من سورة هود « فاستقم ، كما امرت ،
 ومن تاب معك ، ولا تطغوا » .. انه بما يعملون بصير » .. ففى
 تحقيق الاستقامة تدريج الفكر ، وتهذيبه ، وتقويته ، وتحييده عن
 الميل لأى من الطرفين اللذين يتجاذبان .. وهذه هي وظيفة
 تحقيق التوحيد ، بكلمة التوحيد « لا اله الا الله » .. وانما من
 اجل تحقيقها جاءت عبادات الاسلام ، وعاداته .. جاءت الصلاة
 بحضرتها - حضرة الاحرام ، وحضرة السلام - ولقد فرضت
 الصلاة فوق السموات السبع .. وجعلت حركات الركعة سبع
 حركات .. وجعل السجود ، الذى هو قمة حركات الصلاة ، على
 سبعة عظام ، من عظام الجسد .. فهذه الحركات « السباعية »
 هي بسبيل من منازل الحركات السبع ، التى اكرنا ذكرها فى حديثنا
 فى هذه المقدمة ، حتى لقد تحدثنا عن السلام السباعى فى
 الموسيقى ..

وبمناسبة سلم الموسيقى السباعى ، فان حركة الفكر أيضا تسير فى

سلم سباعى * * لقد سبق ان قررنا ان الفكر يتحرك بين طرفين ،
هما : الذاكرة ، والخيال * * ونحن لا نخرج عن هذا المعنى
اذا قررنا ان هذين الطرفين ، هما : الماضى ، والمستقبل * * فجولان
الفكر بين طرفى الذاكرة (الماضى) والخيال « المستقبل » يعزف على
سلم سباعى ، هذا السلم السباعى يعرف عند السادة الصوفية
بمراتب النفوس السبع * * وهى : النفس الامارة ، والنفس اللوامة ،
والنفس الملهمة ، والنفس الطمئنة ، والنفس ، الراضية ، والنفس
المرضية ، والنفس الكاملة * * ومراتب للنفوس هذه انما هى طبقات
العقل ، وهى هى طبقت النفس ، فى عين الوقت * * فالاطراف اللطيفة
من مراتب النفوس هى مراتب عقول * * اذما الفارق بين العقل
والنفس الا الفرق بين الارادة والشهوة * * فللعقل الارادة ، وهى
مسيطرة ، وللنفس الشهوة ، وهى مقهورة ، ومروضة ، عند العقلاء
العارفين * * فالعارف لا يتحرك عن شهوة ، وانما يتحرك عن ارادة * *
وجولان الفكر بين الماضى والمستقبل انما يبتغى ان يعيش صاحبه
فى اللحظة الحاضرة ، لان اللحظة الحاضرة هى وحدها الزمن
الحقيقى * * والذى يعيش فيها وحده هو الذى يحيا الحياة
الكاملة ، الخالدة * * هل تدرون لماذا نجد المتعة فى للفنون ؟؟ لانها
تريح فكرنا من الذبذبة بين الماضى والمستقبل ، وتتيح لنا فرصة
العيش فى اللحظة الحاضرة * * هذه خاصية فى جميع الفنون ،
تتفاوت فيها بضروبها المختلفة ، مع الاشخاص المختلفين * * فانت اذا
سمعت قطعة موسيقية راقية ، أو شهدت فيلما سينمائيا جيد الموضوع ،
متقن الأداء ، فانت تظل مشدوداً الى الشاشة مثلاً ، منحصراً فى تسلسل
صور الممثلين ، ومنشغلاً بادائهم ، بجمعية لا تبقى لك فرصة للتوزع بين
الماضى والمستقبل ، حتى لكأن الزمن قد توقف ، فى حرك ، فى تلك
اللحظة التى تعيشها ، وهى لحظة تكاد أن تكون خارج الزمان * *

الانتصار على الزمن الذى تحققه لنا الفنون الجميلة هو أس
سمادتنا بها ، ومن ثم هو أصل تملقنا بها * * هذا الانتصار على
الزمن هو الحكمة فى مشروعية الصلاة ، التى هى أعلى العبادات * *
ولقد قررنا انها فرضت من فوق السموات السبع * * ونقرر هنا انها
فرضت فى موضعين ، على مستويين * * فاما الصلاة الفرعية ، وهى
المعروفة بالصلاة الشرعية ، فقد فرضت فى موضع مقام قاب
قوسين أو ادنى : « ثم دنا فتدلى * * فكان قاب قوسين أو
أدنى » * * وهذا مقام شفعية — شفع جبريل فيه النبى * * وهى ،
لمكان الشفعية هذه ، قد جاءت مرهونة بمواقيت : « ان الصلاة كانت
على المؤمنين كتاباً موقوتاً » ، يعنى « فرضاً » له أوقات يؤدى
فيها * * وأما الصلاة الأصلية فقد فرضت فى موضع مقام مازاغ البصر
وما طغى : « اذ يغشى السدرة ما يغشى * * مازاغ البصر وما طغى » ،
وهذا مقام وترية * * تمت الوترية فيه للنبى بتجلف واسطته عنه
— جبريل — اذ ليس له ههنا مقام * * وانما دل على وترية هذا
المقام وصف الله حال النبى فيه بقوله تبارك من قائل : « مازاغ
البصر وما طغى » * * و « البصر » ههنا « الفكر » * * و (مازاغ)
يعنى ما انشغل بالماضى * * « وما طغى » يعنى ما انشغل بالمستقبل ،
وانما توقف فى لحظته الحاضرة * * فكان النبى قد توحده ههنا ، حتى
لقد اصبح وحدة ذاتية ، فى وحدة مكانية ، فى وحدة زمانية * * وتدق
هاتان الوجدتان حتى انهما لتخرجان عن المكان والزمان * * ولما
ههنا فقد تمت له رؤية من لا يحويه المكان ولا الزمان * * ولما
كانت هذه الصلاة فى مقام الوترية فانها ليست مرهونة بميقات * *
وانما مواقيتها الانفاس الصاعدة والهابطة * * ولقد قال النبى عن
الصلاة الفرعية : « الصلاة معراج العبد الى ربه » * * وعن الصلاة
الأصلية : « الصلاة صلة بين العبد وربّه » * * فجعلت الصلاة الشرعية

سليماً يرقى باتقائه المصلى الى مرتبة الصلة ، حتى يكون في حضرة دائمة مع ربه .. راجع (رسالة الصلاة) و « تعلموا كيف تصلون » معلوم أن الصلاة الشرعية تبدأ بداية هي من البساطة بحيث يطبق أداءها باحسان أقل الناس ذكاء .. وهذه الصلاة تشكل قاعدة الهرم الذي قمته في صلاة الصلة .. فإذا وضح أن الصلاة هي موسيقى القرآن — ولقد حاولنا توضيح ذلك في مقدمتنا هذه — فإن هذه الموسيقى ، إذا ما قورنت بالموسيقى المعروفة لدينا في اللقن ، فإن المقارنة لا تنهض ، وتتقطع ، من جميع الوجوه .. والانشغال بها ، وبضروب الفنون الأخرى ، بخاصة للمبتدئين ، انشغال بخلاف الأولى ، وتقدير للمفضول على الفاضل ، ومضيعة للوقت في غير وجه حكيم .. وهذا ما من أجله حرمت الفنون في الاسلام ، في المرحلة .. أما للمنتهين المستوين على الجادة في نهايات السلوك ، فإنها غير محرمة ، على النحو الذي بينا ، في متن المحاضرة .. ذلك لأن المستوين على الجادة من اصحاب النهايات يعرفون كيف يعطون كل مقام مقالته ، وكيف يرتفقون بجميع الاحياء والأشياء في السير الى الله .. والى هؤلاء تقدمنا باهداء هذا الكتاب ، ولقد قلنا في صيغة الاهداء :-

الى المفتحين على الله ،

السالكين اليه كل السبل ،

فانه ان من شيء الا وهو

الى الله سبيل !!

« وان من شيء الا يسبح بحمده ،

ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. »

وأما المبتدئون فانا ندعوهم الى أن يعبدوا بذكاء ، مبتدئين من

الصلاة الفرعية — صلاة المراح — الصلاة الشرعية المعروفة — سائر

في تقليد المعصوم باتقان ، ويذهن مفتوح ، في سنة عبادته ، وفيما يطبقون من سنة عاداته . * * انهم ، ان يفعلوا ذلك ، يرتقوا ، كل يوم جديد ، درجة جديدة من درجات القرب من الذات العلية ، ويتهيئوا ليسموا تسبيح المسيحين بحمد رب العالمين * *

أما بعد فان هذه المقدمة قد طالعت ، وانا لنجد مجال القول فيها ذا سعة * * ولكن المجال ، والزمن ، لا يسمحان * * فلنقبض عنان القلم * * ولنضرع الى الله أن يهدينا ، وأن يهدي بنا ، وأن يعلمنا ، وأن يعلم بنا * * انه نعم المولى ونعم النصير * *

بسم الله الرحمن الرحيم

متن المحاضرة

نبدأ حديثنا عن : « الفنون والاسلام » ، أو . « الفتون في نظر الاسلام » * * ولابد من الاشارة الى المقدمة الطيبة ، البليغة ، التي تكرم بها السيد رئيس الجلسة * * فهي فاتحة خير ، أن شاء الله ، لحديث نرجو ان يرفع نظر الناس لما تدخره لهم السماء من سعة في حياة الفكر ، وسعة في حياة الشعور * * وما من شك أن الحديث عن الفنون يفتح هذه السعة ، في الفكر ، وفي الشعور — يفتح باب الفكر على مصراعيه * * وخاصة اذا ما قرنت الفنون بفيض السماء ، في القرآن ، وفي الاسلام * * ولذلك فقد كنت سعيداً جداً ، لأجد هذه الفرصة ، لا تحدث لهذا المستوى من المستمعين ، في موضوع هو أصل ما قام عليه الفكر ، وما قامت عليه الحياة ، في مدى ما عرف الانسان الفكر والحياة * *

ما هي الفنون ؟

والفنون هي عبارة عن وسائل التعبير عن ملكة التعبير في الانسان * * وملكة التعبير في الانسان أعمق من مجرد انها عمل فكري ، هي في الحقيقة الحياة * * ملكة التعبير في الانسان هي الحياة * * وكل حي معبر ، حتى في حيواته الدنيا * * وتعبيره بالحياة في الحياة ، هو حياته نفسها * * الحي عندما يأكل ، الحي عندما يتناسل ، الحي عندما يفر من الالم ، ويحاول تحصيل اللذة ، هو في كل أولئك معبر * * هو معبر في حياته بحياته — هو كليته تعبير * * ثم نحن ، بطبيعة الحال ، لا نطلق عبارات الفنون على الحياة في درجاتها الدنيا ، حيث تعبر بكيئونها كلها ، وإنما نطلق عبارات الفنون على وسائل التعبير ، عن ملكة التعبير ، في الفكر — في الذهن

البشرى .. الانسان يمكن ان يرى ان ارتفاع الانسان ، في سلم الفكر ، عن الحيوانات التى دونه ، من الحيوانات العليا ، انما هو ارتفاع مقدار ، وليس ارتفاع نوع .. الانسان ، في درجات ، واطوار ، تعبيره عن وجوده ، عندما تغشته الحيوانات السفلى ، كان يعبر بلسان حاله ، زى ما دايما يقال فى التصوف ، فى عبارة بالمقال ، وفى عبارة بالحال .. فالحنى ، قبل أن يكون عنده عبارة باللسان ، وهو ما امتاز بهو الانسان فيما بعد ، يسمى معبر بلسان حاله .. بعدين ظهر الانسان ، واصبح منقسم ، بين التعبير بلسان الحال ، وهو التعبير القديم ، الذى ورثه عن الحياة الدنيا ، وبين العنصر الذى جد بظهوره ، وهو التعبير بلسان المقال .. وفى المستوى دأ الفنون خدمتها كبيرة لى آخر درجة للانسان .. الغرض منها ان ترتفع بعقله ، تفتح عقله ، تريد من حيله ، وتضبط تفكيره ، تدقق تفكيره ، تفتح مجال تخيله ، وعاطفته الى الحد الممكن يرتفع بيه عقله حتى يكون تعبيره بلسان المقال فى مساواة تعبيره بلسان الحال ، الكان قبيل فى بدنه .. نحن باستمرار عقلنا بينمو .. عقل احدا وجسده كانما فى كفتى ميزان .. نحن فى وضعنا ، اجسادنا عارفة .. دى نقطة افكر كثيرا ما تجهل .. الاجساد عارفة ، الاجساد لا تخطئ ، ولكن تخطئ العقول .. نحن ، بوسائل التعبير والتميز ، عاوزين نرفع عقولنا الى درجة الانضباط ، الذى به لا تخطئ ، حتى لكأننا بنحاول أن نوزن كفتى الميزان ، كفة اجسادنا مع كفة عقولنا .. اذا استطعت انت ان ترى فان كفة واحدة شايلة ، والكفة الثانية نازلة .. ولكن باستمرار عقولنا بتنمو ، حتى اذا استقام الميزان بالقسط ، تبقى عقولنا لا تخطئ ، كما ان اجسادنا لا تخطئ .. عبارة ان : الاجساد لا تخطئ ، انا افكر بتحتاج الى شئ من الشرح الزائد .. لكنى لانوى ان اشرحها فى المقدمة .. ساتركها للنقاش ، فيما بعد .. لكن

أؤكد لكم انها نقطة مجهولة تماماً ..

الصورة أصل الفنون

الفنون كثيرة ، ما نعرف منها ، وما سنعرف ، كل مرة ، كثيرة —
الكلمة في الشعر ، أو النثر ، الصورة بالفوتوغرافيا ، أو باليد ،
الموسيقى ، النحت ، الرسم .. الكلمة عندما قلناها تجيء فيها
الفناء ، وتجيء فيها المسائل البتدخل فيه .. لكن كثيرة ، ويمكن
للإنسان أن يقول : الأصل فيها كلها الصورة .. الأصل في الفنون
الصورة .. ويمكن أن أقول : انو الصورة — الرسم — يمكن أن يكون
أبو الفنون كلها .. جائز ، في نفس الوقت ، نشأت الموسيقى .. ما من
شك انو قبل ما تتطور الموسيقى ، بفنونها المختلفة ، وعلميتها ،
ودقتها ، كانت نشأتها بدائية ، كبدائية نشأة الصورة ، والرسم ..
الصورة هي في الحقيقة قيمتها في الفهم ، وفي الإدراك ، اكبر من قيمة
الموسيقى ، واكبر من قيمة الشعر ، والنثر ، والمسائل الأخرى
المشاكل لها .. والصورة انما عرفها الانسان والفن من الاحلام ..
الاحلام صور .. انت لما تحلم حلمه بتشوف صور متحركة .. الصور
دي ، عند التأويل ، تنقلب الى معانى .. من بدرى الصورة ، في الحلم ،
صحبت الانسان .. لعله من مجرد ما بدأ يكون انسان ، وينقسم ..
الحيوان ينام ، ولكنه ما يحلم .. والانسان ينام ولكنه يحلم .. ما في
عبرة بأنو ما بتذكر الحلم ، عندما يصحى ، فانه ، وان اصبح ناسي ،
هو يحلم .. لكن في احلام يبيذكرها ، وفي احلام بينساها ..
في احلام صافية ، وفي احلام مشوشة ، ومخلوطة .. ولكن ، مهما كان
الامر فان الصورة قد كانت أول اسلوب تعليم واسلوب تعبير
للإنسان .. لعلنا ، نحن البشر ، اتعلمنا عن الدين ، وعن الحياة

الآخرى ، من الصور ، ومن الاحلام * * وبكل بساطة ، الانسان الاول لما كان يرى أن أبوه المات ، يراه يعمل في عمل زى العمل كان يمارسه في حياته ، شايل طوريته يزرع ، أو شايل حربته يصيد ، أو يعمل عمل في بناء بيت ، صور زى دى أعطتنا الفهم الاولانى عن الحياة الاخرى * * ثم توكد هذا الفهم حتى جاء الوقت الذى اصبح الناس فيه متأكدين من الحياة دى — متأكدين حتى انهم كل ما يحتاج اليه الانسان في حياته يدفنوه معاهو عندما يموت * * الصور دى ، هى المستمرة لغاية الوقت الحاضر ، فيما نصور نحن الاشياء * * والمعانى المجردة ما ها معانى مجردة ، الا لأن ادراكنا ليها قاصر ، ورؤيتنا لصورها عاجزة * * العقل القوى بيدرك المعنى الجرد كأنما هو صورة مجسدة * * النشأة دى اذا نشأة قديمة جداً ، صحبت الانقسام الاولانى ، بين العقل الواعى ، والعقل الباطن * * الاحلام عبارة عن محاولة العقل الباطن — الذى هو ، بايجاز ، الجسد القبيل قلنا عنه ما بيخطىء * * الجسد وقع عليه كبت ، في معنى ما وقعت سيطرة العقل على الشهوة عندما دخل الانسان مرحلة الانسانية * * الكبت دا عندما يرفع — الكبت البمارسه العقل الواعى على العقل الباطن (العقل على الجسد) — عندما يرفع بالنوم ، العقل الباطن (الجسد) بيحاول أن يعبر عن وجوده بالصور البنسميها نحن الاحلام * * اذا كان الانسان شاف في الاحلام الصور بالصورة دى ، يمكنك ان تدرك ، بصورة واضحة ، أن الرسم — التصوير تابع ليهو — هو أصل الفنون * * وبمجرد من ان الانسان عرف كيف يعبر ، كان التعبير بالصوت ، وبالاشارة ، وبالصورة ، ومما لا شك فيه ان الانسان الاولانى كان ، في اغلب الاحيان ، يرسم الحيوان البيصيده ، وكان في فكرة ، ان رسم الحيوان البيصيده يعطيه قوة روحية وسحرية تعينه عليه * * الحيوان الانث رسمته دا ، أن كان رسمته

فى الارض ، أو فى جدار الكهف ، انت بتصيده .. ويمكن للانسان أن يقول — ودأ على التحقيق — ان الحروف الأبجدية التى نحن ، فيما بعد ، أخذنا نكون منها الكلمة ، هى صورة من تطوير هذا الرسم الأولانى .. يعنى انت اذا كنت عاوز تعبر لى أنا عن تور ، بترسم لى التور .. ما فى عبرة ، بطبيعة الحال ، بأن الرسم دأ دقيق أو ما دقيق ، لكن المهم انى أنا بفهم عنك ما تريده .. بعض الناس يجيدوا الرسم ، وبعضهم ما يجيدوه ، لكن ، على كل حال ، العبارة بتجى .. قليل ، قليل ، تمثت العبارة ، وتطورت ، وبدل انت ما ترسم التور كله ، يمكنك أن ترسم رأسه والقرنين ، وأنا افهم عنك .. ما فى داعى لرسم باقى الجسم ..

الموسيقى :

تطويراً من الصور جات الحروف .. الحروف الابجدية ، فى كل لغة من اللغات ، هى تطوير لصور كان الانسان بيخططها ، ويرسمها فى الاول .. اذن الرسم ، هو بالصورة دى ، أول الفنون وأهمها .. تجى مسألة الموسيقى .. الموسيقى برضاها قديمة .. هى قديمة ، قدم الصورة لانها الحركة .. الموسيقى هى الحركة التى بها برز الوجود .. من دى جات موسيقى الصوت الموضع وموسيقى الآلات ، ومشينا نحن فيها نطورها لى قدام .. فالوجود دائماً فى ثنائية ، بالصورة دى ال نحن شايفنها .. مثلاً ، الليل بيعقبه النهار ، فهما نعمتان ، مثلاً ، نحن بنمشى على رجلين ، بالصورة البنمشى بيها ، كأنما هما نعمتان .. كذلك ضربات قلوبنا ، هما نعمتان .. بعدين الانسان لما تقدم لى قدام ، حاول ان يملأ بالنغم المحسوب ، الهادى ، المسافة ما بين هاتين النغمتين .. قل ان شئت حاول الانسان بطريقة علمية ، وحسابية ، أن ينتقل بين النغمتين الاولى ، والثانية ، انتقالاً

هادثاً ، منسجماً ، منعماً ، من غير شذوذ ، ولانشاز .. وهذا ما سمى
 بالسلم الموسيقى * فالسلم الموسيقى قد توصل اليه بأخذ خيط يشد
 أوله من هنا ، واخره من هناك ثم يضرب ضرباً خفيفاً وتقاس
 ذبذبته ، ثم يقسم نصفين ، وبعد ذلك يضرب ضرباً خفيفاً ، ويشوفوا الذبذبة
 بتاعته وتقاس ، ثم يقسم الى اثنان ، وأربع ، ثم تقاس الذبذبة وهكذا ..
 السلم الموسيقى جاء من حاجة زى دى .. وكذلك ملئت الفرقة بين
 النغمتين الكبيرتين .. زى دى ضربة قلبك الاولانية والثانية .. الفرقة
 دى تملأ بنغمات هادئة وموزونة تصعد على السلم الموسيقى السليم ..
 ولذلك الموسيقى عريقة بالصورة اللى يمكن للانسان أن يقول انها
 تضارع الرسم ، لكن ادراكها جاء متأخر أكثر .. اذا جينا نحن للنحت
 برضو قديم .. الغناء قديم ..

الفنون والأديان :

لكن يمكن للانسان ان يقول : أنه ما من فن من الفنون ، الا ونشأ
 فى معابد الدين .. أصلو ما عرف دين ، ما فيهو موسيقى .. يجوز
 مسألة الرسم ، والنحت ، فى بعض الأديان ما فى .. لكن الموسيقى ،
 بصورها المختلفة ، ما عرف دين ما عندو ، حتى ولو كان
 الايقاع البكون بالطبل ، أو بكون بالطار ، أو بكون
 بالنوبة ، الى ان يجىء « للاورقن » بتاع الكنيسة ، بالصور المختلفة
 فيه .. لكن ما من شك فى ان الصلة كبيرة بين الفنون وبين الأديان ..
 والسبب فى علاقة الفنون بالأديان ، هو ان الأديان تعبير ، زى
 ما قلنا قبيل .. الملكة الفينا ، عاوزه التعبير هى الحياة ..

نشأة الأديان :

الأديان نشأت من تجاوبنا مع البيئة .. الانسان الاول عندما شاف
 البيئة الحوله ، والقوة الهائلة فيها ، استطاع ، بذكائه الفطرى البسيط ،
 أن يرى انو القوة فى البيئة المحيطة بهو ، يمكن تقسيمها الى قسمين :-

في قوة هائلة ، رهيبية ، كبيرة ، تُشعر من الاول انوما عندو
 بيها قدرة ** وفي قوة بسيطة ، مثل الحيوان المفترس ، أو العدو **
 المشاكل البتقع في المستوى دا هدته الى أن يتفنن في الحيل لمواجهتها
 ومقاتلتها ** وكذلك فعل ** واما القوى الهائلة ، فقد حاول أن يوجد نوع
 من الموافقة بينه وبينها ** حاول أن يوجد نوع من الصداقة **
 حاول يتملقها ** حاول يعبدها ** دى كلها صور من الحيلة وعنها
 نشأت العبادة ** نشأت العبادة نشأة ساذجة ** الواحد يجب ان
 يقول ، ودى نقطة بتحتاج لتوكيد ، أنو الانبياء ما جو ليقولوا ليئا ،
 « الله في » ** لى دى نحن ما محتاجين ** نحن البشر ،
 ما محتاجين لان يورونا أنه هناك قوة هائلة نحن بازائها قاصرين ،
 وعن منازلتها عاجزين ، وأن من الواجب ان نوجد نوع من
 المصالحة معها ** سميها ما شئت ** ما من شك اننا نحن
 ما سميناهنا بالصور المجردة من الاسماء التوحيدية ** الرسل جو
 لى دى ** الرسل جو ليعرفونا صفات الله ، واسماءه ، لكن ، للشعور
 به ، فقد وجدوا الاستعداد عندنا مركز في فطرتنا ** اننا نعرفه
 بمعنى اننا بنحس بيهو ، لكن صفاته ، واسماؤه ، وافعاله ، لكن
 المعانى المجردة فيها ، البتخرجنا من التجسيد في العبادة الى
 التجريد ، دا هو ما من اجله جاء الرسل . فلذلك الانسان
 الذكى ، والعارف ، يشعر بان الدين نشأ نشأة فطرية ، وفي الارض ،
 وسابق للرسل ** ولعل الرسل السابقين للاديان هم رسل العقول ،
 مش رسل البشر ** العقول دى أدركنا بيها وجود الله ادراكات
 ساذجة ، وبدائية ** هنا عبرنا عن مخاوفنا بازاء القوة الهائلة ،
 فكان الدين ** ومن اجل دا العلاقة الكبيرة بين ملكة التعبير ،
 وبين الدين ، وبين استخدام الدين لوسائل التعبير المختلفة في الفنون **
 قررنا ان الموسيقى كانت نشأتها قديمة جدا ** ونقرر هنا عن النحت

برضو * * الناس كانوا بينحتو الالهه كأصنام ، من بدرى خالص ،
قبل ما بجىء اساتذة الفنون ، من اليونان ، ومن الرومان ، ومن
غيرهم * *

النحت والعبادات :

النحت الساذج كان محاولة لتجسيد ما يتصوره الانسان عن
الله * * ودائماً الانسان بيتصور الوجود فى صورته ، حتى الله ، نحن
بنصوره فى صورتنا * * وكذلك حكمته الالهية جات على السنة الرسل
لتعطيه صفات زى صفاتنا ، فلو لا أن الصفات مشتركة بيننا وبينه ،
ما بنعرفه * * فى الغالب الأعم ، يمكنك أن تطلق المسألة دى ، ان النحت
كان قد نشأ لنجسد بيه الصورة البنعبدها نحن ، فى حيز نقدر نحيط
بيهو ، ونعرفه ، ونذكره ، ودا ما سمى بالأصنام * * وما فى عبادة من
العبادات الا ونشأ التجسيد فى معابدها ، النحت والفنون الاخرى * *
الواحد يمكن أن يقول انها كلها فى البداية وجدت ملكاتها الأولى ،
ثم تطورت ، بصور مختلفة ، فيما بعد * *

الحياة والفنون والجمال :

اذا كان قلنا : الفنون هى وسيلة التعبير عن ملكة التعبير
فينا ، يبقى ملكة التعبير دى عاوزه شنو ؟؟ ملكة التعبير (الحياة)
عاوزه أن يكون فى تنعيم للحياة ، عاوزه أن تكسر ، وتطامن ،
الشذوذ ، والفتور ، فى الحياة ، عاوزه تناسق ، عاوزه جمال ،
ان شئت * * لانه ، فى الجمال ، النفس البشرية بتجد طمأنينتها ،
بتجد راحتها ، بتجد خروجها من شذوذ الغامرة ، والمخاطرة ،
والمفاجأة * * يعنى النغم الموسيقى المنسجم يريح انفسنا لانو
بيوجد ، فى الداخر ، طمأنينة تخرج مسألة الانزعاج البيجىء
بالاصوات الصاخبة ، المفاجئة ، النشاز ، زى ما بنسميها * * كل

صورة فنية من صور التعبير محاولتها هي أن توجد الجمال ..
الفنون بثنتي وسائلها ، وطرقها ، محاولتها انما هي أن توجد
الجمال .. اذا كان الانسان سأل عن الجمال : هو شنو ؟؟

ما هو الجمال :

اذا كان قلت : ان الجمال هو التناسق ، مثلا ، فانت على
حق ، ولكن ما كل الحق .. أنا أحب أن أقترح حاجة هي في
البداية في الموضوع ، اقترح ان الجمال هو العدل الانساني ..
العدل الانساني يمكنك ان تقول عليه جمال .. زيد عن العدل
الانساني .. تعال في المحبة الانسانية ، المعيشة مع الناس في سلام -
السلام .. أنا أحب أن أقدم ليكم النقطة دى لتكون هي نقطة
اعتبار .. ما من شك أنا عندى أن الجمال هو السلام .. بعدين
نحن ما بنصل للسلام مع الآخرين الا اذا كنا في سلام مع
انفسنا .. السلام مع انفسنا معنا هو اخراج النشاز القائم في البنية
البشرية .. البنية البشرية مقسومة .. القسمة الأولانية ، القبيل قلناها ..
ولولا أن الانسان انقسم ، لما ترقى ، في المكان الاول .. الحيوان
ما منقسم ، الطفل ما منقسم ، الابما ورث .. لكن ، في عمره
البيعيشه في بداية حياته ، ما منقسم ، لكنو وارث للانقسام ، وبيميش
في المجتمع البيقسمة ، ماشى لينقسم .. فلولا أن الانسان انقسم
لما ترقى ، ولما كمل .. انقسامه يمثّل انو عندو رغائبه
الأولانية البسترسل فيها كحيوان ، ما بيقف عند حد .. ما في ضابط ،
الا تحصيل اللذة ، والفرار من الألم .. واستمر الاندفاع دا ، ولكنه
عندما جاء الانسان ليكون بيعيش في مجتمع ، وجاء العرف ، وجاء
القانون ، وجاء الحلال والحرام ، اللى نحن نوشك أن ندخل في
الكلام عنو ، فيما سنتحدث عن الاسلام ، لما جاء الحلال والحرام ،

أو قل ، ان اردت الدقة ، لاجاء العرف الأولانى (يمكن دا تجوز كثير فى استعمال الكلمة ، لما نحن نبدأ فى البدايات) ، لكن مجرد أن يكون فى عرف يقول انو دا يعمل ، ودا ما يعمل ، بدأت الشخصية البشرية تنقسم ، بمعنى انو انت اصبحت فى حاجة تضبط اندفاعاتك الأولانية ، الكانت قبيل عندك مندفة بدون ضابط * * رغائبك كلها ما فى استعداد لان تستجاب * * المجتمع عاوز حاجات ما تعمل * * انت اهد رجلين بتكون * * الفرد كان فى الوضع دا اهد رجلين : اما رجل استرسل ليقضى لباتته ، زى ما كانت ، وبطبيعة الحان ، بتقع عليه العقوبة البتقع ، وهى قد كانت عقوبة صارمة جداً فى المجتمعات البدائية * * أو رجل يكون عندو مقدرة على أن يضبط نفسه * * كانت العقوبات العملت فى المجتمعات الماضية كلها من شريعة التحريم والتحليل * * العقوبات التى لا تزال عندنا الآن * * هذه العقوبات الغرض منها أن تقوى الارادة البشرية بالتسييرك وفق ما يجب * * ومن ههنا جاء الانقسام * * والانقسام دا مرحلة * * لولا أن الانقسام جاء ، لما ترقى الانسان * * اذا لم يزل الانقسام ، لا يكمل الانسان * * فنحن اذن بنترقى فى مرحلتين : المرحلة الأولانية هى الانقسام ، والمرحلة الثانية هى ضم الانقسام ، وتوحيد البنية البشرية الانقسمت * * الى حد كبير ، الفنون فى التعبيرات المختلفة ، فى ابراز الجمال ، وقيم الجمال ، فى تنعيم حياتنا الداخلية ، وحياتنا الخارجية ، غرضها ان يكون الانسان مع المجتمع انسان محب للقانون ، انسان منظم ، انسان عندو سيطرة على اندفاعاته ، وعلى نفسه ، انسان يملك أن يسير بسفينته وسط الانواء فى الجماعة * * وهناك نوعان من التنعيم : تنعيم الفرد مع الجماعة * * وتنعيم الفرد مع نفسه * * نحن بنحاول أن نطور الجماعة لتكون راقية ، حتى انك لمجرد تنعيمك نفسك معها ، وانسجامك فيها ، وتوائمك معاها ، تكون انت اترقيت * * ثم لا بد

لك من المحاولة الفردية في أن توجد التنعيم الداخلي بين انقسامك ،
لأننا نحن لما انقسمنا قامت فينا قوة ضد قوة - قوة العقل
الواعي (الإرادة) ضد الفطرة الأولانية « الشهوة » العايزة
تحصل لذتها بكل سبيل * * نحن عاوزين نوجد التنعيم دا
بيناتن * * يمكنك أن تقول : في نعمتين نحن عاوزين نملأ الفراغ
بيناتن * * زى ما قلت ليكم عن الموسيقى ، عن التعبير الفني
كله * * بالصور دى نوجد السلام الداخلي * * بالسلام الداخلي يجى
السلام الخارجى * * اذا كان الامر بالصورة دى ، فاني مصق اذ قلت
ان العدل هو الجمال ، وزدت على المسألة دى وقلت الخلق ، وزدت
وقلت المعيشة في سلام * * السلام هو الجمال * * أنا افكر انو دا
قمة ما نحاول نحن أن نعبر عنو * * حتى التناسق في اعضاء
الجسد اللي انت بتتحتة ، دا يمكنك أن تسميه عدل ، اذا شئت * *
اذا زدت عليه ، فهي تبقى مسألة اعطاء كل عضو مكانته من الضبط ،
والنسبية ، والدقة ، والقوة ، حتى لكأنك بتوجد جسد في سلام مع
بعضه ، ما متنافر * * التناسق سلام * * دا كل ما يمكن ان تهدفه ليهو
الكلمة ، اذا كانت شمرأ أو نثرأ أو غناء * * كل ما تهدف ليهو
الموسيقى * * كل ما يهدف ليهو النحت ، والتصوير * * كل ما تهدف
ليهو التعبيرات في الرقص ، وفي كل وسائل التعبير عن ملكتنا * *
وهو هو كل ما تهدف ليهو العبادة أيضا *

ما افكر ضرورى نتكلم عن الفنون اكثر من كدا ، لانو
المجال مفتوح فيها لنقاش أطول * * والان نجى لنظرة الاسلام
للموضوع دا :-

نظرة الاسلام الى الفنون :

أول ما يجب أن يقال انو ما في حرام ، وحلال ، الا في اعتبارات

الشرعية .. ما في حاجة هي حرام في ذاتها .. الايعان ما فيه
 حرام ، لكن الحرمة حكم .. والسر في الحكم ان تكون عندنا
 الارادة البتسیرنا بين الحلال والحرام .. نأخذ من الحلال
 ما شئنا ، ونجتنب الحرام .. عندما تحاول تجتنب الحرام في
 دوافع داخلية عاوزة منك ضبط ، وقوة ارادة ، وقوة فكر ، لتمنعك من
 التردى .. دى الحكمة في الحرمة ، حيث وجدت ، من نشأة
 العرف الأولانى ، والى يوم الناس دا .. ما في حاجة هي حرام في
 ذاتها .. وربنا يعبر لنا عن دا ، ويقول : « ما يفعل الله بعذابكم ان
 شكرتم ، وأمنتهم ؟؟ وكان الله شاكراً عليما » .. أو يقول : « قل من
 حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟؟ قل هي
 للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة .. كذلك نفصل الآيات
 لقوم يعلمون » قل انما حرم ربى الفواحش — ما ظهر منها ،
 وما بطن — والاثم ، والبغى بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل
 به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون .. »

كل المحرمات من الصور الحسية انما هي حرمة بالحوالة
 واما الحرمة بالاصالة فانما هي عيوب السلوك .. السلوك يبدأ
 بالطريقة البتعيش بيها ، في سلام مع نفسك ، وفي سلام مع
 الآخرين ، وهذا هو ما سميناه « التنعيم » مع المجتمع ، أو
 العدل ، أو السلام — فكل ما حرم انما حرم من اجل تربيتنا
 لنستطيع ان تكمل عقولنا ، وادراكاتنا ..

الحرمة حكم شرعى :

هنا ، اذا كان الانسان شاف النقطة دى حقيقة ، وذلك كونه التحريم
 حكم شرعى ، والحكم الشرعى ، دائما بتوخى تسيرنا نحن في المراقى
 «المختلفة» ، يبقى ، بطبيعة الحال ، وبالبداهة ، بننتظر ان يكون فيسماحة ،

ان يكون في تغيير في شدة التحريم كلما تغيرت ادراكاتنا ، ولذلك الحرمة كانت غليظة في الاول ، وبدت ثقل ، وتقل ، لغاية ما هي ماثلة لان تنفضي الى الحل * * القرآن يقول لنا « ليس على الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، جناح ، فيما طعموا ، اذا ما اتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا ، وآمنوا ، ثم اتقوا ، واحسنوا * * والله يحب المحسنين » أو يقول هناك « قل لا أجد فيما اوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ، أو دماً مسفوحاً ، أو لحم خنزير فإنه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به » فهذه اربعة * * ثم قال حواصلاً سياقه : « فمن اضطر ، غير باغ ، ولا عاد ، فلا اثم عليه » * * الضرورة ترفع الحرمة * * المعرفة ترفع الحرمة * * لانه قد انتفى حظ النفس عند المضطر ، كما ينتفى حظها عند العارف بالله * * هنا ، اذا كان بقى واضح في اذماننا أنو التحريم أطوار ، وان الحكمة وراءه تربيتنا ، يجىء موضوعنا في الاسلام *

الاسلام يبحرّم النحت ، ويبحرّم الرسم ، ويبحرّم ، تبعاً لذلك ، التصوير * * ودي فيما روى عن ابن عباس انه قال ان النبي قال : « من صور صورة يعذبه الله حتى ينفخ فيها الروح ، وما هو بنافع فيها ابدأ * * »

صور الفوتوغرافيا الحرمة قائمة في حقها ، ولكن بصورة أخف * * حرمت الموسيقى ، وحرّم الغناء ، عند بعضهم ، ما كلهم * * بعضهم يرى أن الغناء ما حرام ، لكن ، في عبارة ، انولهمو ، وكل ما يلهم عن الله ، عند بعض المتشددین من الفقهاء ، فهو حرام * * الحكمة في التحريم مرحلية * * السبب فيها انو الناس ، زى ما قلنا ، كان عهدهم قريب بعبادة الأوثان ، وبالجاهلية ، ويمكن أن يحنوا الى الاوثان بالعبادة اذا ما رأوها تتحت * * برضهم كانوا قريبين عهد باللهو ، في مواخير الجاهلية ، من

غناء ، ومن رقص ، ومن موسيقى ** حرمت عليهم المسائل دى
لتمطيهم فرصة ليجمعوا انفسهم عليهم بدل التوزيع البيحصل للانسان
المعرض للغناء ، للهو ** اذن يمكنك أن تقول ان الاسلام حرم من
الفنون النحت ، والرسم ، والتصوير ، وكل ما يكون ليه ظل ** حرم
رسم أو تصوير الانسان ، أو الحيوان ، أو الطائر **

رسم الطبيعة غير محرم :

تسمح الشرع في رسم الجبال ، أو رسم الشجر ، أو زخرفة
الاقمشة ، بالصور اليمكن أن تكون ماها انسان أو حيوان ، أو
طائر ** الغرض من التحريم أن يقطع حنين الانسان للعبادة
الوثنية ** أو ، بأيجاز ، يمكنك أن تقول : ان تحريم الدين —
تحريم الشريعة الاسلامية — للموضوع دا الغرض منه مرحلى **
إذا كان هسح أى واحد مننا شاف ليهو تمثال زى دا ، ما بينبعث في
ذهنه أى نوع من العبادة ، أو أى شعور بيبها ، أو ميل **
الناس ، في اول عهدهم بالاسلام ، بينبعث في ذهنهم شعور زى
دا ** لكن ما ممكن أن ينبعث في ذهنك ، أو في ذهنى ، ولا في ذهن
أى واحد من الناس في الوقت الحاضر ** لذلك الحكمة في التحريم
هذا ، انها هي حكمة مرحلية ، الحكم فيها هو حكم الوقت كيفما
يكون ** والسرفي هذا الحكم بينسحب على حالة عبادة
الناس في وقتهم الماضى ، كما ينسحب على حالة العبادة في
الوقت الحاضر ، ولكن لكل وقت حكمه ** فهل يمكن للانسان ، مثلاً
الداعى الاسلامى ، في الوقت الحاضر ، هل يمكن له ان يقول للناس
سيروا بطرق الفن الى الله ؟؟ بمعنى آخر هل الدين (الشريعة) رفع
كل اعتراضه على الفنون ؟؟ تلقى انو برضو المسألة فيها نظره **
هذا النظر هو تربية الانسان الفى حاجة لتربية ** كل مبتدى .

التوزيع يضره .. اذا كان الانسان سار بالطريق الدينى المرسوم
ليهو ، وكانت محاولته هى أن ينحصر فى أن يوجد نتيجة بطريقة
الدين ، اللى هى العبادة بالصورة الموجودة عندنا فان الفنون توزعه ،
والتوزيع يضره ..

الفنون تسير الناس الى الله :

اما اذا استوى ، فمن الممكن لهذا الانسان أن يتخذ كل وسائل
التعبير لتسيره الى الله .. الانسان الاستطاع أن يجد فرصة لتوجيه ،
ورياضة نفسه ، حتى اصبحت عندو فلسفة حياة — عندو نظرة للاشياء ،
عندو انتقان للتوحيد — ما فى شىء ، بالمره ، يقطعه ، أو يوقفه عن
الله .. النحت يوديهم لى الله — يسيرو لى الله — الموسيقى
تسيرو الى الله ، الرقص يسيرو لى الله ، وكل وسائل التعبير تسيرو لى
الله .. فى المرحلة الأولانية — فى شريعة الاسلام — المسائل دى
حرمت .. هى محرمة بنص الحديث القريئو ليكم ، وذلك لانها
بتوشك أن تخلى الانسان يحن للعبادة — عبادة الاوثان — وتلك عبادة
هو قد كان قريب عهد بيها .. أما فى الوقت الحاضر ، فى
المرحلة الحاضرة ، فما أحب أن اقلوه هو ان وسائل الفنون كلها
راح تسير الناس لى الله .. هسح ، فى الوقت الحاضر ، كل المطلوب
من الناس هو ان يتوخوا ، فى أول مرة ، كيف يسيروا ، بطريق
العبادة ، ليوجدوا نوع من التماسك الداخلى ، نوع من النظرة
الموسعة .. بعدين كل انواع الفنون راح تكون مسيرة الى الله ..

البتدىء يضيق عليه :

بايجاز !! التحريم فى النهج البدائى للاسلام مؤكد .. فهو
ضد الموسيقى للبتدىء ، ضد النحت ، ضد التصوير ، ضد

الرقص ، ضد كل مسألة من المسائل البتوزع المبتدىء .. إذا كان الانسان استطاع أن يحصر نفسه في نهج واحد ، الذى هو العبادة ، ثم في محاولة احراز التوسع (باتقان التوحيد) في المسائل الاخرى ، من اساليب التعبير المختلفة ، والفنون اقدمها ، والكلمة اسلمها ، افنكر بيكون في سعة فيما بعد .. لكن ، قبل ما تكون في سعة ، القاعدة عندهم أنو المبتدىء ، زى ما بترد العبارة الدارجية : « المبتدىء ابرته ما بتشيل خيطين .. » .. المبتدىء يجب أن يكون عنده اتجاه في الانحصار ، فهو لا يمكن ان يسمح ليهو ، في مسألة الارتفاق بالفنون ، الا بالكلمة ، وموش بالموسيقى ، لان الموسيقى لا تعطى معنى محدد .. عندها انت يكون عندك استعداد لتدرك عن الوجود كله ، فان الموسيقى ابلغ من الكلمة ، لان الموسيقى تقول لك كل شىء عجزت الكلمة عن ان تقوله .. لكن عند المبتدىء الموسيقى بتشوش عليه ، وأما الكلمة فانها محددة .. ولذلك تلقى ان القرآن يتخذ موسيقاه من الكلمات أولا ، ثم هو ينطلق في موسيقى علوية ، كأنها هى موسيقى الوجود كله .. عند الكمال ، للمكتمل ، القرآن بيخرج عن كونه عبارات محددة ، ومضبوطة ، وبالصورة دى ، يبقى وحى علوى ، يعلمك كل شىء ، بدون أن يعلمك شىء بعينه ، خصوصاً المتشابه من القرآن .. فاذا كان أنا شخصياً سئلت عن النهج الذى حققه ليه المسلمون كلهم ، في الأمر دا ، أنا اعتقد أنهم كلهم يجب أن يتجهوا للعبادة ، بالانحصار فيها ، ثم في تفتق الذهن ، في أثناء العبادة ، في معانى الكلمات من القرآن ، وفي الشعر الجيد ، من الشعر العرفانى ، وباستمرار يكون في توسع .. وكلما انت اتقنت التوحيد ، كلما قلت دائرة المحرمات عليك ، الى ان تكون انت الانسان العنود الملكة التى تتلقى العلم بالله عن كل شىء .. ما فى في الوجود شىء ما بيدعو الى

الله * * ابليس ، زى جبريل ، داعى لى الله * * الله ، فى الحقيقة ، ما عندو عدو * * لكن ، فى مرحلة الشريعة ، الوجود مقسوم الى داعى لغير الله ، والى داعى لى الله * * مما يدعو ، فى المرحلة ، لغير الله كل ادوات الله ، ومنها الفنون * * اذا كان انت استويت على الغاية ، بتسمع وترى الوجود كله جنود لى الله ، ودعاة لى الله ، ورسل من الله اليك تسوقك لى الله * * فاذا كنت انت فنان موهوب ولكن ما وجدت الفرصة لتتخصص فى العبادة ، لتعرف ، لتخرج من الثنائية دى بتجويد مستوى من التوحيد ، من المؤكد ان الفنون قد تسيرك درجة ولكنها راح تقطعك ، ما بتوديك لى قدام * * اذا كان فى شىء ، من العلوم المدنية ، بسير الناس الى سماحة فى الخلق ، الى مستوى من التنعيم الداخلى ، الى نوع من العلاقة الحسنة مع الحياة - نوع من السعة - فان ذلك الشىء لهو الفنون ، ما فى ذلك شك * * ولكن وسيلة الفنون قاصرة الا اذا تم لها التتويج بوسيلة الدين * * فكأنو ، اذن ، الاسلام فى أوله ، وفى آخره ، اعنى فدعوته الأولانية ، وفى دعوته الثانية بيحرم هذا المستوى من الفنون ، لكن داك على التعميم ، اعنى شريعة عمومية ، ودالك فرد شريعته ، اعنى شريعة خصوصية * * الحاجة السليمة هى انك انت تتوجه ، وتتخصص * *

كل الفنون حلال اليوم :

انا شخصيا ما راح اكون من البوصوا انو يجىء تشريع يقول الفنون حرام * * لكن يجب ان يجىء تفهيم للناس يقول لكل واحد : اذا كنت انت ما استويت ، فى التوحيد ، على درجة معينة من الاستواء ، فان الفنون بتصرفك ، وبتوزع جمعيتك ، وبتقطعك * * الفنون هى خير اساليب التسيير الى الله ، ولكن بعد ما انت توجد نوع من التنعيم الداخلى ، بتجويد التوحيد ، بالانحصار فى العبادة ، بالخروج

من الدوامه بتاعة المجتمع ، وبتاعة التغييرات المختلفة ، فى الفنون المختلفة •• لغاية ما انت توجد نوع من القلب البتصب فيهو نفسك ، وتصوغ اخلاقياتك ، وتجد فلسفتك •• فان انت وجدت فلسفتك فى الحياة ، فانك خاليق ان تنفتح على كل الفنون ، وكلها بتسيرك لى الله ، وسيكون عندك حظ موفور من ادراكها •• وقد يكون عندك خط من تجويدها ، اذا كنت فنان ، بكل وسائل التعبير فيها ، باكثر مما يكون عندك قبل ان توجد هذا النوع من التربية الداخلية •• من اجل دا ، انا افكر ، العبارات الكثيرة الواردة فى الدعوة الى تنزيه القرآن ، وانه ما هو شعر •• القرآن يشبه الشعر ، وما هو بالشعر : «وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له !» . وانت ، اذا جيت لدقائق القرآن ، فانه الشعر !! و اكثر من الشعر! ولكن ملابسات الشعر فى عدم الالتزام ، وعدم الصدق ، هى ما نفاهو الله عن القرآن ••

الاخلاق والفنان :

انا افكر برضو الفنان ، كائناً من كان ، سواء اكان نحاس ، او موسيقار ، او مصوراتى ، او راقص ، او ممثل ، بتلقاهو ما هو ملتزم ، ما عندو خلقية معينة ، اللهم الا خلقية بيعتقد ان الفن ببسئلزمها •• الخلقية الانا بقصدها انما هى الصدق فى مستوى الفعل ، القبيل انا قتلته — الصدق الذى يتحد فيه الفكر ، والقبول ، والفعل •• انا ما بيعتقد ان الفنان ما عندو قيمة خلقية فى نفسه يلتزمها ، لكن ، ما من شك ، انو موش فى مستوى الانضباط اللى نحن بنقصده •• لعل الفنان ، الموزع بالصورة دى ، بتلقاه يظهر بمظهر البهذلة كدا •• يرسل لحيته بصورة بدون تهذيب ، ولا تنظيم ، او يلبس ملابس مهزاة ، او يكون ماسائل فى النظام ، او فى رأى المجتمع •• قد يكون ،

انا افكر ، انه هو يبحث عن قيمة * انا بحب ان اهديه للقيمة
دى ، هى فى العبادة والقرآن * * سيجدها حاضرة حين يتجه لاللتزام
بادب القرآن — ادب شريعته وادب حقيقته * *
هنا اقف ، واترك ليكم الفرصة للنقاش * * اكثر من كذا كثير
عندنا مما يمكن ان يقال ، ولكن ، ما من شك ، انكم بتعينوا كثير
بمشاركتم فى النقاش لاجلاء القضية دى * * شكراً